الرسائل المئية

48/100

الصَّبْرُ الجَمِيلُ ومَنَازِلُ التَّقْوَى

الصَّبْرُ الصَّفْحُ وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ، وَأَقْسَامُ النَّاسِ فِي التَّقْوَى وَالصَّبْرِ

أَبُو العَبَّاسِ تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ النُّمَيْرِيُّ الحَرَّانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ

-شَيْخ الإِسْلام ابْنِ تَيْمِيَّة-



عُنِيَ بِهَا إِخْرَاجًا، وَتَخْرِيجًا، وَتَعْلِيقًا

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلْطَانَ العُرِيفَانُ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ

إجازة المطبوعة

السلام عليكم ورحمة االله وبركاته

تم تسجيل هذه المادة لصالح المؤلف/المعد أدناه بعد التعهد بالالتزام بجميع الشروط و الاحكام الخاصة بمحتوى المادة

اسم المادة	الصبر الجميل ومنازل التقوى
نوع المادة	كتاب إلكتروني
المحقق	إبراهيم بن سلطان العريفان
المترجمون	
المعدون	
المؤلفون	• شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه االله
رقم الطبعة	1
اسم الناشر باللغة العربية	إبراهيم بن سلطان العريفان
اسم الناشر باللغة الإنجليزية	IBRAHEEM SULTAN
رقم التسجيل	202610281192647
تاريخ التسجيل	2026-10-28

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّبْرَ ضِيَاءً لِلْقُلُوبِ، وَالتَّقْوَى سَبِيلًا إِلَى رِضَاهُ، وَجَعَلَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ، وَاسْتَعَانَ بِهِ فِي بَلَائِهِ وَرَجَاهُ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، أَجْمَلِ النَّاسِ صَبْرًا، وَأَحْسَنِهِمْ صَفْحًا، وَأَكْمَلِهِمْ عُبُودِيَّةً لِرَبِّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالرَّحْمَةِ بِالْخَلْقِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْعَبْدَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى اللَّهِ بَيْنَ أَمْرٍ يَمْتَثِلُهُ، وَنَهْيٍ يَجْتَنِبُهُ، وَقَدَرٍ يَصْبِرُ عَلَيْهِ؛ يَحْتَاجُ فِي طَاعَتِهِ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَالِاتِّبَاعِ، وَفِي بَلَائِهِ إِلَى الِاسْتِعَانَةِ وَالثَّبَاتِ، وَفِي مُعَامَلَتِهِ لِلْخَلْقِ إِلَى صَفْحٍ يَسْلَمُ مِنَ الْعِتَابِ، وَهَجْرٍ يَخْلُو مِنَ الْأَذَى. وَبِاجْتِمَاعِ هَذِهِ الْمَعَانِي يَسْتَقِيمُ سَيْرُهُ، وَتَظْهَرُ آثَارُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ وَعَمَلِهِ.

وَتَأْتِي هَذِهِ الرِّسَالَةُ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِتَكْشِفَ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَتَصِلَ دَقَائِقَ الِاعْتِقَادِ بِحَقَائِقِ السُّلُوكِ؛ فَتَبْدَأُ بِبَيَانِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ، وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ، ثُمَّ تُبَيِّنُ حَاجَةَ الْعَبْدِ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالتَّقْوَى وَالصَّبْرِ، وَتَخْتِمُ بِمَعْنًى تَكْمُلُ بِهِ أَخْلَاقُ الْمُؤْمِنِ: قُوَّةٌ يَضْبِطُهَا الْحَقُّ، وَرَحْمَةٌ يَحْرُسُهَا الصَّبْرُ؛ فَلَا تَصِيرُ قُوَّتُهُ قَسْوَةً، وَلَا رَحْمَتُهُ ضَعْفًا.

وَقَدْ جَاءَتْ عِنَايَتِي بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ضِمْنَ مَشْرُوعِ «الرَّسَائِلِ الْمِئِيَّةِ»، رَجَاءَ تَقْرِيبِ مَعَانِيهَا، وَتَيْسِيرِ قِرَاءَتِهَا وَالِانْتِفَاعِ بِهَا؛ فَاعْتَنَيْتُ بِضَبْطِ أَلْفَاظِهَا بِالشَّكْلِ، وَوَضْعِ عَلَامَاتِ التَّرْقِيمِ، وَتَقْسِيمِ نَصِّهَا إِلَى فِقْرَاتٍ تُعِينُ عَلَى فَهْمِهِ، مَعَ عَزْوِ الْآيَاتِ إِلَى سُوَرِهَا، وَتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِحَسَبِ مَا تَيَسَّرَ، وَإِضَافَةِ حَوَاشٍ مُوجَزَةٍ تُوَضِّحُ غَرِيبَ اللَّفْظِ وَدَقِيقَ الْمَعْنَى، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى أَلْفَاظِ الْمُؤَلِّفِ وَمَقَاصِدِهِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، نَافِعًا لِعِبَادِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا صِدْقَ الْعِبَادَةِ، وَحُسْنَ الِاسْتِعَانَةِ، وَجَمَالَ الصَّبْرِ وَالصَّفْحِ، وَأَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ تَقْوَاهُ فِي السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ فِي الضَّرَّاءِ، وَالرَّحْمَةِ بِخَلْقِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلْطَانَ الْعُرَيْفَانِ

٠٥٦٥٦٥٤٣٢١

الْمِنْطَقَةُ الشَّرْقِيَّةُ – مُحَافَظَةُ الْخُبَرِ

يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، ١٤٤٨/٦/١هـ

التَمْهِيدُ إِلَى الرِّسَالَةِ

تَحْتَلُّ مَعَانِي الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى مَنْزِلَةً عَظِيمَةً فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ وَاسْتِقَامَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ؛ فَالْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَقْوَى تَحْجُزُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَإِلَى صَبْرٍ يُثَبِّتُهُ عَلَى الْحَقِّ، وَيُعِينُهُ عَلَى احْتِمَالِ الْبَلَاءِ. وَبِاجْتِمَاعِهِمَا يَسْتَقِيمُ سَيْرُهُ إِلَى رَبِّهِ، وَتَحْسُنُ عَاقِبَتُهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.

وَتَأْتِي هَذِهِ الرِّسَالَةُ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِتُبَيِّنَ هَذِهِ الْمَعَانِيَ فِي ضَوْءِ نُصُوصِ الْوَحْيِ، وَتَكْشِفَ عَنِ الصِّلَةِ الْوَثِيقَةِ بَيْنَ صِحَّةِ الِاعْتِقَادِ وَاسْتِقَامَةِ السُّلُوكِ؛ فَلَا تَقْتَصِرُ عَلَى بَيَانِ الصَّبْرِ وَآدَابِهِ، بَلْ تَرْبِطُهُ بِتَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِقَدَرِهِ، وَالِامْتِثَالِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وَيُمْكِنُ إِجْمَالُ أَبْرَزِ مَحَاوِرِهَا فِي النِّقَاطِ الْآتِيَةِ:

- **حَقِيقَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ، وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ.**

يَفْتَتِحُ الْمُؤَلِّفُ رِسَالَتَهُ بِبَيَانِ هَذِهِ الْمَعَانِي؛ فَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هَجْرٌ بِلَا أَذًى، وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ صَفْحٌ بِلَا عِتَابٍ، وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ صَبْرٌ بِلَا شَكْوَى. وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ إِلَى أَنَّ الْعِنَايَةَ بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْآفَاتِ لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنِ الْعِنَايَةِ بِأَصْلِهِ.

- **أَنَّ الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ لَا تُنَافِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ.**

يُوَضِّحُ الْمُؤَلِّفُ أَنَّ بَثَّ الْحُزْنِ إِلَى اللَّهِ، وَسُؤَالَهُ كَشْفَ الضُّرِّ، لَا يُنَافِيَانِ الصَّبْرَ؛ بَلْ يَدُلَّانِ عَلَى الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ وَحُسْنِ اللُّجُوءِ إِلَيْهِ. وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ الْفَرْقُ بَيْنَ مُنَاجَاةِ الرَّبِّ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَبَيْنَ التَّسَخُّطِ عَلَى قَضَائِهِ وَالِاعْتِرَاضِ عَلَى حُكْمِهِ.

- **قِيَامُ سَيْرِ الْعَبْدِ عَلَى التَّقْوَى وَالصَّبْرِ.**

فَالْعَبْدُ مُطَالَبٌ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَمُحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ. وَهَذَانِ الْأَصْلَانِ يَجْمَعَانِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَحْوَالِهِ؛ فَلَا يَسْتَغْنِي بِالْعَمَلِ عَنِ الثَّبَاتِ، وَلَا بِاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ عَنْ لُزُومِ الطَّاعَةِ.

- **التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الدِّينِيَّةِ.**

تُبَيِّنُ الرِّسَالَةُ أَنَّ الْإِقْرَارَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُقَدِّرُهُ لَا يُغْنِي عَنِ الْإِيمَانِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُهُ. وَهَذَا أَصْلٌ مُهِمٌّ فِي مَنْعِ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَعَاصِي، أَوِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ لِكَوْنِهِمَا وَاقِعَتَيْنِ بِمَشِيئَتِهِ.

- **الْجَمْعُ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ.**

يَعْرِضُ الْمُؤَلِّفُ أَحْوَالَ النَّاسِ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْكَمَالَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا؛ فَيَعْبُدُ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ، وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ. وَفِي ذَلِكَ تَرْبِيَةٌ لِلنَّفْسِ عَلَى بَذْلِ الْجُهْدِ مَعَ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ.

- **مَنْزِلَةُ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاعْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ وَالذَّنْبِ.**

تُبْرِزُ الرِّسَالَةُ حَالَ الْمُؤْمِنِ فِي نِسْبَةِ الْفَضْلِ إِلَى اللَّهِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَقْصِيرِ نَفْسِهِ؛ فَيَشْكُرُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَيَسْتَغْفِرُ مِنَ الذَّنْبِ وَالتَّفْرِيطِ. وَبِهَذَا يَسْلَمُ مِنَ الْعُجْبِ بِعَمَلِهِ، وَمِنَ الِاعْتِذَارِ عَنْ خَطَئِهِ بِالْقَدَرِ.

- **تَفَاوُتُ النَّاسِ فِي التَّقْوَى وَالصَّبْرِ.**

يُقَسِّمُ الْمُؤَلِّفُ النَّاسَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ، وَمَنْ لَهُ نَوْعٌ مِنَ التَّقْوَى دُونَ صَبْرٍ، وَمَنْ لَهُ صَبْرٌ دُونَ تَقْوَى، وَمَنْ يَفْقِدُ الْأَمْرَيْنِ. وَفِي هَذَا التَّقْسِيمِ دَعْوَةٌ إِلَى مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ؛ فَلَيْسَ كُلُّ صَبْرٍ دَلِيلًا عَلَى صَلَاحِ صَاحِبِهِ، وَلَا كُلُّ قِيَامٍ بِبَعْضِ الطَّاعَاتِ دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ ثَبَاتِهِ عِنْدَ الِابْتِلَاءِ.

- **أَنَّ مِيزَانَ الْكَمَالِ حَقَائِقُ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ.**

تُؤَكِّدُ الرِّسَالَةُ أَنَّ الِاعْتِبَارَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا بِمُجَرَّدِ الْمَظَاهِرِ وَالِانْتِسَابَاتِ. وَهَذَا يُوَجِّهُ الْعَبْدَ إِلَى إِصْلَاحِ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَيَحْمِيهِ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِالْأَسْمَاءِ وَالدَّعَاوَى.

- **اقْتِرَانُ الصَّبْرِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَثَرُهُ فِي حُسْنِ الْعَاقِبَةِ.**

يَسْتَدِلُّ الْمُؤَلِّفُ بِآيَاتٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، وَبَيْنَ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ. وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ لِأَنَّ الصَّبْرَ الْمَشْرُوعَ يَقْتَرِنُ بِالْعَمَلِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَأَنَّ اجْتِمَاعَهُ مَعَ التَّقْوَى مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ.

- **الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَبَيْنَ الْقُوَّةِ وَالرِّفْقِ.**

تُخْتَتَمُ الرِّسَالَةُ بِبَيَانِ أَنَّ الْحَالَ الْمَحْمُودَةَ هِيَ اجْتِمَاعُ الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ؛ فَيَكُونُ الْعَبْدُ قَوِيًّا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، لَيِّنًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ. وَهَذَا مَعْنًى تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي التَّعْلِيمِ وَالدَّعْوَةِ وَالْوِلَايَةِ وَسَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ؛ لِيَجْتَمِعَ الثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ مَعَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ.

وَبِهَذِهِ الْمَحَاوِرِ تَتَكَامَلُ مَعَانِي الرِّسَالَةِ؛ فَتُقَدِّمُ لِلْقَارِئِ أُصُولًا فِي تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وَتَقْوِيمِ سُلُوكِهِ، وَتَدْعُوهُ إِلَى عُبُودِيَّةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا صِدْقُ الْإِيمَانِ، وَحُسْنُ الْعَمَلِ، وَدَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى بَلَائِهِ، وَالرَّحْمَةُ بِعِبَادِهِ.

الصَّبْرُ الْجَمِيلُ – الصَّفْحُ الْجَمِيلُ – الْهَجْرُ الْجَمِيلُ

سُئِلَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ، الْحَبْرُ الْكَامِلُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَمُفْتِي الْأَنَامِ، تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ – أَيَّدَهُ اللَّهُ وَزَادَهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ –[1]:

عَنِ «الصَّبْرِ الْجَمِيلِ»، وَ«الصَّفْحِ الْجَمِيلِ»، وَ«الْهَجْرِ الْجَمِيلِ»، وَمَا أَقْسَامُ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ؟

فَأَجَابَ – رَحِمَهُ اللَّهُ –:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ بِالْهَجْرِ الْجَمِيلِ، وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ، وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ[2].

فَ«الْهَجْرُ الْجَمِيلُ»: هَجْرٌ بِلَا أَذًى، وَ«الصَّفْحُ الْجَمِيلُ»: صَفْحٌ بِلَا عِتَابٍ، وَ«الصَّبْرُ الْجَمِيلُ»: صَبْرٌ بِلَا شَكْوَى.

قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يُوسُفَ: ٨٦]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٨]؛ فَالشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ لَا تُنَافِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ.

وَيُرْوَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ الْمُسْتَغَاثُ، وَعَلَيْكَ**

---

(١) يُنْظَرُ: مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (١٠/٦٦٦ – ٦٧٧).

(٢) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الْمُزَّمِّل: ١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الْحِجْر: ٨٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [الْمَعَارِج: ٥].

التُّكْلَانُ»[٣].

وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، اللَّهُمَّ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى**»[٤].

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ**﴾ [يُوسُفَ: ٨٦]، وَيَبْكِي حَتَّى يُسْمَعَ نَشِيجُهُ مِنْ آخِرِ

---

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ» (رَقْمُ ٣٣٩٤)، وَفِي «الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ» (رَقْمُ ٣٣٩)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ جَاوَزَ الْبَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟**»، فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ...**»، فَذَكَرَهُ، دُونَ قَوْلِهِ: «**وَبِكَ الْمُسْتَغَاثُ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ**».

وَقَدِ اخْتَلَفَ كَلَامُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي إِسْنَادِهِ؛ فَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٢/٦٠٤): «**رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ**». وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (١٠/١٨٣): «**رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ**». وَ«**التُّكْلَانُ**»: الِاعْتِمَادُ وَالتَّوَكُّلُ.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (١/١٢٨٠، رَقْمُ ١٠٣٦)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِنَحْوِهِ. وَفِي إِسْنَادِهِ عَنْعَنَةُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَهُوَ مُدَلِّسٌ؛ وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ضَعِيفِ الْجَامِعِ» (رَقْمُ ١١٨٢). وَعَلَيْهِ، فَلَا يُجْزَمُ بِنِسْبَةِ هَذَا الدُّعَاءِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَ«**يَتَجَهَّمُنِي**»: يَلْقَانِي بِالْعُبُوسِ وَالْغِلْظَةِ، وَ«**لَكَ الْعُتْبَى**»: لَكَ الِاسْتِرْضَاءُ حَتَّى تَرْضَى.

الصُّفُوفِ[٥]؛ بِخِلَافِ الشَّكْوَى إِلَى الْمَخْلُوقِ.

قُرِئَ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ أَنَّ طَاوُسًا كَرِهَ أَنِينَ الْمَرِيضِ، وَقَالَ: **إِنَّهُ شَكْوَى؛ فَمَا أَنَّ حَتَّى مَاتَ**[٦].

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْتَكِيَ طَالِبٌ بِلِسَانِ الْحَالِ إِمَّا إِزَالَةَ مَا يَضُرُّهُ، أَوْ حُصُولَ مَا يَنْفَعُهُ، وَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ دُونَ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ [الشَّرْح: ٧–٨]، وَقَالَ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»[٧].

وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ شَيْئَيْنِ:

- طَاعَتِهِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ.
- وَصَبْرِهِ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْمَقْدُورِ.

---

(٥) عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الْأَذَانِ، بَابِ «إِذَا بَكَى الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ»، قَبْلَ الْحَدِيثِ رَقْمِ (٦٨٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ. وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ مَنْ وَصَلَهُ فِي «تَغْلِيقِ التَّعْلِيقِ» (٣٠١/٢). وَ«**النَّشِيجُ**»: صَوْتُ الْبُكَاءِ. وَلَيْسَ فِي لَفْظِ تَعْلِيقِ الْبُخَارِيِّ تَعْيِينُ صَلَاةِ الْفَجْرِ.

(٦) يُنْظَرُ فِي خَبَرِ تَرْكِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْأَنِينَ: «الْمُجَالَسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ» لِأَبِي بَكْرٍ الدِّينَوَرِيِّ (الْأَثَرُ رَقْمُ ٢٥٣)، وَ«حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» لِأَبِي نُعَيْمٍ (١٨٣/٩). وَهَذَا أَثَرٌ فِي وَرَعِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَصَبْرِهِ، وَلَيْسَ حَدِيثًا مَرْفُوعًا فِي النَّهْيِ عَنْ أَنِينِ الْمَرِيضِ.

(٧) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٢٦٦٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْمُ ٢٥١٦)، وَقَالَ: «**هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مَنْعُ الِاسْتِعَانَةِ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُبَاحَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [الْمَائِدَة: ٢]. فَاتِّخَاذُ السَّبَبِ الْمَشْرُوعِ لَا يُنَافِي تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ.

فَالْأَوَّلُ هُوَ التَّقْوَى، وَالثَّانِي هُوَ الصَّبْرُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٨]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٦].

وَقَدْ قَالَ يُوسُفُ: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٩٠].

وَلِهَذَا كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ وَنَحْوُهُ مِنَ الْمَشَايِخِ الْمُسْتَقِيمِينَ يُوصُونَ فِي عَامَّةِ كَلَامِهِمْ بِهَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ: الْمُسَارَعَةِ إِلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَالتَّقَاعُدِ عَنْ فِعْلِ الْمَحْظُورِ، وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا بِالْأَمْرِ الْمَقْدُورِ.

وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ غَلِطَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ، بَلْ وَمِنَ السَّالِكِينَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَشْهَدُ الْقَدَرَ فَقَطْ، وَيَشْهَدُ الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ دُونَ الدِّينِيَّةِ(٨)، فَيَرَى أَنَّ اللَّهَ

(٨) الْمُرَادُ بِـ«**الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ**»: أَنَّ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ دَاخِلَةٌ تَحْتَ خَلْقِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقَدَرِهِ. وَبِـ«**الْحَقِيقَةِ**

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَبَيْنَ مَا يُسْخِطُهُ وَيُبْغِضُهُ، وَإِنْ قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ.

وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَبَيْنَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ فَيَشْهَدُ الْجَمْعَ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ – سَعِيدُهَا وَشَقِيُّهَا –، مَشْهَدَ الْجَمْعِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالنَّبِيُّ الصَّادِقُ وَالْمُتَنَبِّئُ الْكَاذِبُ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاؤُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَالْمَرَدَةُ الشَّيَاطِينُ(٩).

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي هَذَا الْجَمْعِ وَهَذِهِ «الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ»، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، لَا رَبَّ لَهُمْ غَيْرُهُ.

وَلَا يَشْهَدُ الْفَرْقَ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَفِعْلُ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَهُوَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوْ أَمْرَ اسْتِحْبَابٍ، وَتَرْكُ مَا نَهَى اللَّهُ

الدِّينِيَّةِ»: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَحَبَّهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ. فَلَيْسَ كُلُّ مَا شَاءَ اللَّهُ وُقُوعَهُ كَوْنًا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ شَرْعًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزُّمَر: ٧].

(٩) الْمُرَادُ بِـ«**الْجَمْعِ**» هُنَا: النَّظَرُ إِلَى اشْتِرَاكِ الْخَلْقِ جَمِيعًا فِي كَوْنِهِمْ مَخْلُوقِينَ لِلَّهِ، خَاضِعِينَ لِمَشِيئَتِهِ وَقَدَرِهِ. وَمَوْضِعُ الْغَلَطِ هُوَ الِاكْتِفَاءُ بِهَذَا النَّظَرِ، وَإِغْفَالُ الْفَرْقِ الشَّرْعِيِّ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [الْقَلَم: ٣٥–٣٦].

عَنْهُ وَرَسُولُهُ، وَمُوَالَاةُ أَوْلِيَائِهِ وَمُعَادَاةُ أَعْدَائِهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ.

فَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ هَذِهِ «الْحَقِيقَةَ الدِّينِيَّةَ» الْفَارِقَةَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَيَكُنْ مَعَ أَهْلِ «الْحَقِيقَةِ الدِّينِيَّةِ»، وَإِلَّا فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى(١٠).

فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ؛ إِذْ هُمْ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لُقْمَانَ: ٢٥؛ الزُّمَرِ: ٣٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٨٤–٨٩].

وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٦]. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: تَسْأَلُهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ:

(١٠) الْمُرَادُ – بِحَسَبِ سِيَاقِ الْكَلَامِ – مَنْ يُسْقِطُ الْفَرْقَ الشَّرْعِيَّ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، احْتِجَاجًا بِاشْتِرَاكِ الْجَمِيعِ فِي الْخُضُوعِ لِلْقَدَرِ؛ لَا مُجَرَّدُ الْعَاصِي الْمُقِرِّ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ تَفْرِيقُ الْمُؤَلِّفِ فِيمَا يَأْتِي بَيْنَ إِسْقَاطِ الْفَرْقِ مُطْلَقًا، وَنُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ التَّسْوِيَةِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى.

اللَّهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ(١١).

فَمَنْ أَقَرَّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ دُونَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيَّيْنِ، فَهُوَ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ يُقِرُّونَ بِالْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيَّيْنِ، لَكِنْ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النِّسَاءِ: ١٥٠–١٥١].

وَأَمَّا الَّذِي يَشْهَدُ «الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ» وَتَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ الشَّامِلَ لِلْخَلِيقَةِ، وَيُقِرُّ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ تَحْتَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَيَسْلُكُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَطَاعُوا أَمْرَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَبَيْنَ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ؛ فَهَؤُلَاءِ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. لَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَدْ لَمَحُوا الْفَرْقَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ دُونَ بَعْضٍ؛ بِحَيْثُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ بَعْضِ الْأَبْرَارِ وَبَيْنَ بَعْضِ الْفُجَّارِ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ آخَرِينَ؛ اتِّبَاعًا لِظَنِّهِ وَمَا يَهْوَاهُ. فَيَكُونُ نَاقِصَ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا سَوَّى بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَيَكُونُ مَعَهُ مِنَ

(١١) أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ عِكْرِمَةَ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»، عِنْدَ تَفْسِيرِ سُورَةِ يُوسُفَ، الْآيَةِ (١٠٦)، بِرَقْمِ (١٩٩٥٥)، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِرَقْمِ (١٩٩٥٤). وَالْمَقْصُودُ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لَمْ يَمْنَعْ وُقُوعَهُمْ فِي الشِّرْكِ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ.

الْإِيمَانِ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى الْفَارِقِ بِحَسَبِ مَا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ.

وَمَنْ أَقَرَّ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الدِّينِيَّيْنِ دُونَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، كَانَ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، الَّذِينَ هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ(١٢)؛ فَهَؤُلَاءِ يُشْبِهُونَ الْمَجُوسَ، وَأُولَئِكَ يُشْبِهُونَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هُمْ شَرٌّ مِنَ الْمَجُوسِ.

وَمَنْ أَقَرَّ بِهِمَا وَجَعَلَ الرَّبَّ مُتَنَاقِضًا، فَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ الَّذِي اعْتَرَضَ عَلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَخَاصَمَهُ، كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنْهُ(١٣).

فَهَذَا التَّقْسِيمُ فِي الْقَوْلِ وَالِاعْتِقَادِ، وَكَذَلِكَ هُمْ فِي «الْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ».

فَالصَّوَابُ مِنْهَا حَالَةُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَتَّقِي اللَّهَ، فَيَفْعَلُ الْمَأْمُورَ، وَيَتْرُكُ الْمَحْظُورَ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَقْدُورِ؛ فَهُوَ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَة: ٥].

وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ وَتَابَ؛ لَا يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلَا

---

(١٢) إِشَارَةٌ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، كِتَابِ السُّنَّةِ، بَابِ فِي الْقَدَرِ (رَقْمُ ٤٦٩١). وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَصْحِيحِهِ؛ فَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَضَعَّفَ إِسْنَادَهُ شُعَيْبٌ الْأَرْنَاؤُوطُ. وَالْمُرَادُ بِالْقَدَرِيَّةِ هُنَا نُفَاةُ الْقَدَرِ، وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ بِالْمَجُوسِ إِثْبَاتُهُمْ أَفْعَالًا تَخْرُجُ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ، بِجَعْلِ الْعَبْدِ مُسْتَقِلًّا بِإِيجَادِ فِعْلِهِ.

(١٣) أَصْلُ اعْتِرَاضِ إِبْلِيسَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ثَابِتٌ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٢]. وَأَمَّا الْحِكَايَاتُ الْمُفَصَّلَةُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ مُخَاصَمَتِهِ، فَلَا تُنْسَبُ إِلَى الْوَحْيِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ صَحِيحٍ.

يَرَى لِلْمَخْلُوقِ حُجَّةً عَلَى رَبِّ الْكَائِنَاتِ، بَلْ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ(١٤)، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي فِيهِ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(١٥).

فَيُقِرُّ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْحَسَنَاتِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ هَدَاهُ وَيَسَّرَهُ لِلْيُسْرَى، وَيُقِرُّ بِذُنُوبِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَيَتُوبُ مِنْهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: «**أَطَعْتُكَ بِفَضْلِكَ وَالْمِنَّةُ لَكَ، وَعَصَيْتُكَ بِعِلْمِكَ وَالْحُجَّةُ لَكَ، فَأَسْأَلُكَ بِوُجُوبِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي، إِلَّا غَفَرْتَ لِي**»(١٦).

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِلَهِيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ،

---

(١٤) أَيْ: لَا يَجْعَلُ الْقَدَرَ حُجَّةً لِتَبْرِيرِ الْمَعْصِيَةِ وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَبْطَلَ احْتِجَاجَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَشِيئَةِ عَلَى شِرْكِهِمْ، فَقَالَ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٤٨]. فَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ لَا يُسْقِطُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَلَا يُعْفِي الْعَبْدَ مِنَ التَّوْبَةِ.

(١٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابِ أَفْضَلِ الِاسْتِغْفَارِ (رَقْمُ ٦٣٠٦)، مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ. وَفِي لَفْظِهِ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ»، وَفِيهِ: «وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي». وَ«أَبُوءُ»: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ. وَأُبْقِيَ لَفْظُ الْمُؤَلِّفِ فِي الْمَتْنِ، مَعَ التَّنْبِيهِ هُنَا عَلَى لَفْظِ الرِّوَايَةِ.

(١٦) هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي حَكَاهُ الْمُؤَلِّفُ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ، وَلَيْسَ فِي السِّيَاقِ نِسْبَتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَمَعْنَى «**بِعِلْمِكَ**»: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ وَقَعَتْ مَعَ سَبْقِ عِلْمِ اللَّهِ بِهَا، لَا أَنَّ عِلْمَهُ حُجَّةٌ لِلْعَاصِي؛ وَلِذَلِكَ أَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ: «**وَالْحُجَّةُ لَكَ**». وَ«**بِوُجُوبِ حُجَّتِكَ**»: أَيْ بِثُبُوتِهَا وَلُزُومِهَا.

ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١٧).

وَهَذَا لَهُ تَحْقِيقٌ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَآخَرُونَ قَدْ يَشْهَدُونَ الْأَمْرَ فَقَطْ؛ فَتَجِدُهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي الطَّاعَةِ حَسَبَ الِاسْتِطَاعَةِ، لَكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْقَدَرِ مَا يُوجِبُ لَهُمْ حَقِيقَةَ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالصَّبْرِ(١٨).

وَآخَرُونَ يَشْهَدُونَ الْقَدَرَ فَقَطْ، فَيَكُونُ عِنْدَهُمْ مِنَ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالصَّبْرِ مَا لَيْسَ عِنْدَ أُولَئِكَ، لَكِنَّهُمْ لَا يَلْتَزِمُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتِّبَاعَ شَرِيعَتِهِ، وَمُلَازَمَةَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الدِّينِ؛ فَهَؤُلَاءِ يَسْتَعِينُونَ اللَّهَ وَلَا يَعْبُدُونَهُ، وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَسْتَعِينُوهُ، وَالْمُؤْمِنُ يَعْبُدُهُ وَيَسْتَعِينُهُ(١٩).

---

(١٧) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابِ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (رَقْمُ ٢٥٧٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ قُدْسِيٍّ طَوِيلٍ.

(١٨) «**مُشَاهَدَةُ الْقَدَرِ**»: اسْتِحْضَارُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ إِلَى تَوْفِيقِهِ وَإِعَانَتِهِ. وَالْمُرَادُ هُنَا ضَعْفُ اسْتِحْضَارِ هَذَا الْمَعْنَى وَأَثَرِهِ فِي الْقَلْبِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِنْكَارُ الْقَدَرِ فِي أَصْلِ الِاعْتِقَادِ.

(١٩) «قَسَّمَ الْمُؤَلِّفُ النَّاسَ بِحَسَبِ جَمْعِهِمْ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ أَوْ تَفْرِيطِهِمْ فِيهِمَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

١- مَنْ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ عِبَادَتَهُ وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ.

٢- مَنْ يَجْتَهِدُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ يُقَصِّرُ فِي الِاسْتِعَانَةِ بِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ.

٣- مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُحَقِّقُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٤- مَنْ يُفَرِّطُ فِي الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ جَمِيعًا، وَهُوَ شَرُّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ -وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ بَعْدَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ

وَ«**الْقِسْمُ الرَّابِعُ**» شَرُّ الْأَقْسَامِ، وَهُوَ مَنْ لَا يَعْبُدُهُ وَلَا يَسْتَعِينُهُ؛ فَلَا هُوَ مَعَ الشَّرِيعَةِ الْأَمْرِيَّةِ، وَلَا مَعَ الْقَدَرِ الْكَوْنِيِّ(٢٠).

وَانْقِسَامُهُمْ إِلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ هُوَ فِيمَا يَكُونُ قَبْلَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ مِنْ تَوَكُّلٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ مِنْ صَبْرٍ وَرِضًا وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَهُمْ فِي التَّقْوَى – وَهِيَ طَاعَةُ الْأَمْرِ الدِّينِيِّ – وَالصَّبْرِ عَلَى مَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدَرِ الْكَوْنِيِّ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: أَهْلُ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالثَّانِي: الَّذِينَ لَهُمْ نَوْعٌ مِنَ التَّقْوَى بِلَا صَبْرٍ، مِثْلُ الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا، وَيَتْرُكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ، لَكِنْ إِذَا أُصِيبَ أَحَدُهُمْ فِي بَدَنِهِ بِمَرَضٍ وَنَحْوِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي عِرْضِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِعَدُوٍّ يُخِيفُهُ، عَظُمَ جَزَعُهُ وَظَهَرَ هَلَعُهُ.

وَالثَّالِثُ: قَوْمٌ لَهُمْ نَوْعٌ مِنَ الصَّبْرِ بِلَا تَقْوَى، مِثْلُ الْفُجَّارِ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ فِي مِثْلِ أَهْوَائِهِمْ؛ كَاللُّصُوصِ وَالْقُطَّاعِ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى

مُبَاشَرَةً–.

(٢٠) أَيْ: لَا يَقُومُ بِمُقْتَضَى الْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ مِنَ الطَّاعَةِ، وَلَا بِمُقْتَضَى الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مِنَ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالصَّبْرِ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَخْرُجُ عَنْ سُلْطَانِ الْقَدَرِ. وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْعِبَادَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةِ: ٥].

الْآلَامِ فِي مِثْلِ مَا يَطْلُبُونَهُ مِنَ الْغَصْبِ وَأَخْذِ الْحَرَامِ، وَالْكُتَّابِ وَأَهْلِ الدِّيوَانِ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فِي طَلَبِ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْخِيَانَةِ وَغَيْرِهَا(٢١).

وَكَذَلِكَ طُلَّابُ الرِّئَاسَةِ وَالْعُلُوِّ عَلَى غَيْرِهِمْ، يَصْبِرُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَذَى الَّتِي لَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ. وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لِلصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِشْقِ وَغَيْرِهِمْ، يَصْبِرُونَ فِي مِثْلِ مَا يَهْوَوْنَهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَذَى وَالْآلَامِ(٢٢).

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ أَوْ فَسَادًا، مِنْ طُلَّابِ الرِّئَاسَةِ وَالْعُلُوِّ عَلَى الْخَلْقِ، وَمِنْ طُلَّابِ الْأَمْوَالِ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِالصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ نَظَرًا أَوْ مُبَاشَرَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ؛ يَصْبِرُونَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ تَقْوَى فِيمَا تَرَكُوهُ مِنَ الْمَأْمُورِ وَفَعَلُوهُ مِنَ الْمَحْظُورِ(٢٣).

وَكَذَلِكَ قَدْ يَصْبِرُ الرَّجُلُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ، كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَغَيْرِ

---

(٢١) «**الْقُطَّاعُ**»: قُطَّاعُ الطَّرِيقِ. وَ«**الْكُتَّابُ وَأَهْلُ الدِّيوَانِ**»: الْقَائِمُونَ بِالْكِتَابَةِ وَالسِّجِلَّاتِ وَالْأَعْمَالِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ. وَالذَّمُّ هُنَا مُقَيَّدٌ بِمَنْ يَطْلُبُ الْمَالَ بِالْخِيَانَةِ وَنَحْوِهَا، وَلَا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ أَهْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ.

(٢٢) الْمُرَادُ بِـ«**الصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ**» فِي هَذَا السِّيَاقِ: صُوَرُ الْأَشْخَاصِ وَمَحَاسِنُهُمُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْعَاشِقُ تَعَلُّقًا مُحَرَّمًا، أَوْ يَطْلُبُ الِاسْتِمْتَاعَ بِهَا عَلَى وَجْهٍ مُحَرَّمٍ؛ فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ خُصُوصَ الرُّسُومِ وَالصُّوَرِ الْمُصَوَّرَةِ.

(٢٣) فِي الْعِبَارَةِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الْقَصَصِ: ٨٣]. وَيَتَبَيَّنُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّ مُجَرَّدَ تَحَمُّلِ الْمَشَقَّةِ لَا يَكُونُ مَحْمُودًا شَرْعًا حَتَّى يُنْظَرَ فِي غَايَتِهِ وَمَحَلِّهِ؛ فَالصَّبْرُ عَلَى تَحْصِيلِ الْمُحَرَّمِ لَيْسَ مِنَ الصَّبْرِ الْمَأْمُورِ بِهِ.

ذَلِكَ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ تَقْوَى إِذَا قَدَرَ(٢٤).

وَأَمَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ، فَهُوَ شَرُّ الْأَقْسَامِ: لَا يَتَّقُونَ إِذَا قَدَرُوا، وَلَا يَصْبِرُونَ إِذَا ابْتُلُوا؛ بَلْ هُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**﴾ [الْمَعَارِجِ: ١٩–٢١].

فَهَؤُلَاءِ تَجِدُهُمْ مِنْ أَظْلَمِ النَّاسِ وَأَجْبَرِهِمْ إِذَا قَدَرُوا، وَمِنْ أَذَلِّ النَّاسِ وَأَجْزَعِهِمْ إِذَا قُهِرُوا. إِنْ قَهَرْتَهُمْ ذَلُّوا لَكَ، وَنَافَقُوكَ، وَحَابَوْكَ، وَاسْتَرْحَمُوكَ، وَدَخَلُوا فِيمَا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ وَالذُّلِّ وَتَعْظِيمِ الْمَسْؤُولِ.

وَإِنْ قَهَرُوكَ كَانُوا مِنْ أَظْلَمِ النَّاسِ، وَأَقْسَاهُمْ قَلْبًا، وَأَقَلِّهِمْ رَحْمَةً وَإِحْسَانًا وَعَفْوًا، كَمَا قَدْ جَرَّبَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ عَنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ أَبْعَدَ؛ مِثْلُ التَّتَارِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَمَنْ يُشْبِهُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَإِنْ كَانَ مُتَظَاهِرًا بِلِبَاسِ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ وَزُهَّادِهِمْ وَتُجَّارِهِمْ وَصُنَّاعِهِمْ؛ فَالِاعْتِبَارُ بِالْحَقَائِقِ: «**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(٢٥).

---

(٢٤) الصَّوَابُ فِي ضَبْطِهَا هُنَا: «**إِذَا قَدَرَ**»، بِفَتْحِ الْقَافِ وَالدَّالِ؛ أَيْ: إِذَا تَمَكَّنَ وَصَارَ ذَا قُدْرَةٍ. وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ بَعْدَهُ: «**لَا يَتَّقُونَ إِذَا قَدَرُوا، وَلَا يَصْبِرُونَ إِذَا ابْتُلُوا**».

(٢٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابِ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ (رَقْمُ ٢٥٦٤)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وَلَفْظُهُ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**». وَأُبْقِيَ فِي الْمَتْنِ اللَّفْظُ الَّذِي سَاقَهُ الْمُؤَلِّفُ.

فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ وَعَمَلُهُ مِنْ جِنْسِ قُلُوبِ التَّتَارِ وَأَعْمَالِهِمْ، كَانَ شَبِيهًا لَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَكَانَ مَا مَعَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ أَوْ مَا يُظْهِرُهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنْهُ. بَلْ يُوجَدُ فِي غَيْرِ التَّتَارِ الْمُقَاتِلِينَ مِنَ الْمُظْهِرِينَ لِلْإِسْلَامِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ رِدَّةً، وَأَوْلَى بِالْأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ التَّتَارِ(٢٦).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «**خَيْرُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢٧).

وَإِذَا كَانَ خَيْرُ الْكَلَامِ كَلَامَ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيَ مُحَمَّدٍ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ إِلَى ذَلِكَ أَقْرَبَ، وَهُوَ بِهِ أَشْبَهُ، كَانَ إِلَى الْكَمَالِ أَقْرَبَ، وَهُوَ بِهِ أَحَقُّ. وَمَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ أَبْعَدَ، وَشَبَهُهُ بِهِ أَضْعَفُ، كَانَ عَنِ الْكَمَالِ أَبْعَدَ، وَبِالْبَاطِلِ أَحَقَّ. وَالْكَامِلُ هُوَ مَنْ كَانَ لِلَّهِ أَطْوَعَ، وَعَلَى مَا يُصِيبُهُ أَصْبَرَ؛ فَكُلَّمَا كَانَ أَتْبَعَ لِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَأَعْظَمَ مُوَافَقَةً لِلَّهِ فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَصَبْرًا عَلَى مَا قَدَّرَهُ

---

(٢٦) الْكَلَامُ هُنَا عَنِ التَّتَارِ الْمُقَاتِلِينَ الَّذِينَ وَصَفَ الْمُؤَلِّفُ أَحْوَالَهُمْ، وَعَمَّنْ شَابَهَهُمْ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ؛ وَقَوْلُهُ: «**مِنْ هَذَا الْوَجْهِ**» يُقَيِّدُ التَّشْبِيهَ بِالْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، فَلَا يَسْتَلْزِمُ التَّسَاوِيَ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الِانْتِسَابَ الظَّاهِرَ وَاللِّبَاسَ لَا يَقُومَانِ مَقَامَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَصَلَاحِ الْعَمَلِ.

(٢٧) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الْجُمُعَةِ، بَابِ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ (رَقْمُ ٨٦٧)، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَفِي لَفْظِهِ: «**فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ**». وَ«**الْهَدْيُ**» بِفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ: الطَّرِيقَةُ وَالسِّيرَةُ. وَأُبْقِيَ فِي الْمَتْنِ اللَّفْظُ الَّذِي سَاقَهُ الْمُؤَلِّفُ.

وَقَضَاهُ، كَانَ أَكْمَلَ وَأَفْضَلَ. وَكُلُّ مَنْ نَقَصَ عَنْ هَذَيْنِ كَانَ فِيهِ مِنَ النَّقْصِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى «الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى» جَمِيعًا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ يَنْتَصِرُ الْعَبْدُ عَلَى عَدُوِّهِ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ الْمُعَانِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَعَلَى مَنْ ظَلَمَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلِصَاحِبِهِ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ[٢٨].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٢٥].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(٢٨) أَيْ: إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى سَبَبٌ لِلنَّصْرِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ؛ فَيَصْبِرُ الْعَبْدُ عَلَى الْأَذَى، وَيَتَّقِي اللَّهَ فِي مُعَامَلَةِ مَنْ آذَاهُ، فَلَا يَحْمِلُهُ ظُلْمُ غَيْرِهِ عَلَى تَجَاوُزِ حُدُودِ اللَّهِ. وَالْمُرَادُ بِـ«صَاحِبِهِ» هُنَا: صَاحِبُ هَذَا الْمَسْلَكِ الْجَامِعِ لِلصَّبْرِ وَالتَّقْوَى.

* ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٨–١٢٠].

وَقَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٩٠].

وَقَدْ قُرِنَ الصَّبْرُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عُمُومًا وَخُصُوصًا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يُونُسَ: ١٠٩].

وَفِي اتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ التَّقْوَى كُلُّهَا؛ تَصْدِيقًا لِخَبَرِ اللَّهِ وَطَاعَةً لِأَمْرِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هُودٍ: ١١٤–١١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غَافِرٍ: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ [طه: ١٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

[الْبَقَرَة: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٥٣].

فَهَذِهِ مَوَاضِعُ قُرِنَ فِيهَا الصَّلَاةُ وَالصَّبْرُ.

وَقُرِنَ بَيْنَ «الرَّحْمَةِ وَالصَّبْرِ» فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [الْبَلَد: ١٧]. وَفِي الرَّحْمَةِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا.

فَإِنَّ الْقِسْمَةَ أَيْضًا رُبَاعِيَّةٌ؛ إِذْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصْبِرُ وَلَا يَرْحَمُ، كَأَهْلِ الْقُوَّةِ وَالْقَسْوَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَمُ وَلَا يَصْبِرُ، كَأَهْلِ الضَّعْفِ وَاللِّينِ، مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ وَمَنْ يُشْبِهُهُنَّ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصْبِرُ وَلَا يَرْحَمُ، كَأَهْلِ الْقَسْوَةِ وَالْهَلَعِ.

وَالْمَحْمُودُ هُوَ الَّذِي يَصْبِرُ وَيَرْحَمُ، كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ فِي الْمُتَوَلِّي: **يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، لَيِّنًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ**[٢٩]؛ فَبِصَبْرِهِ يَقْوَى، وَبِلِينِهِ يَرْحَمُ، وَبِالصَّبْرِ يُنْصَرُ الْعَبْدُ؛ فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ[٣٠]، وَبِالرَّحْمَةِ يَرْحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

---

(٢٩) «**الْمُتَوَلِّي**»: مَنْ يَتَوَلَّى شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ، كَالْوِلَايَةِ وَالْقَضَاءِ. وَالْمَقْصُودُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَزْمِ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ وَالرِّفْقِ بِالْخَلْقِ؛ فَلَا تَحْمِلُهُ الْقُوَّةُ عَلَى الْعُنْفِ وَالظُّلْمِ، وَلَا يَحْمِلُهُ اللِّينُ عَلَى تَضْيِيعِ الْحُقُوقِ. وَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ الْمَحْمُودُ فِي التَّقْسِيمِ الْمَذْكُورِ: الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ.

(٣٠) إِشَارَةٌ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِيهِ: «**وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٢٨٠٣) ضِمْنَ وَصِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ هَذَا الْمَعْنَى الْمَرْفُوعَ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ».

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(٣١).

وَقَالَ: «**مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**»(٣٢).

وَقَالَ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»(٣٣).

وَقَالَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(٣٤).

وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انْتَهَى.

---

(٣١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الْجَنَائِزِ (رَقْمُ ١٢٨٤)، مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قِصَّةِ بُكَاءِ النَّبِيِّ ﷺ رَحْمَةً بِالصَّبِيِّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ. وَ«**الرُّحَمَاءَ**» مَنْصُوبٌ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَفَاعِلُ «**يَرْحَمُ**» هُوَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ.

(٣٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابِ رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ (رَقْمُ ٥٩٩٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَضُبِطَ الْفِعْلَانِ بِالْجَزْمِ عَلَى أَنَّ «مَنْ» شَرْطِيَّةٌ؛ فَالْأَوَّلُ فِعْلُ الشَّرْطِ، وَالثَّانِي جَوَابُهُ.

(٣٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْمُ ٤٩٤٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْمُ ١٩٢٣)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «**هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ**».

(٣٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْمُ ٤٩٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْمُ ١٩٢٤)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «**هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**». وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ فَمَنْ رَحِمَ الْخَلْقَ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِنَيْلِ رَحْمَةِ الْخَالِقِ.

الْخَاتِمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ بَيَّنَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ أَنَّ اسْتِقَامَةَ الْعَبْدِ تَقُومُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ امْتِثَالِ الْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ وَالصَّبْرِ عَلَى الْقَدَرِ الْكَوْنِيِّ، وَأَنَّ كَمَالَهُ بِتَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ. وَيُمْكِنُ إِجْمَالُ أَبْرَزِ مَا تَضَمَّنَتْهُ فِي الْأُمُورِ الْآتِيَةِ:

١- أَنَّ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ صَبْرٌ بِلَا شَكْوَى إِلَى الْخَلْقِ، وَالصَّفْحَ الْجَمِيلَ صَفْحٌ بِلَا عِتَابٍ، وَالْهَجْرَ الْجَمِيلَ هَجْرٌ بِلَا أَذًى؛ وَأَنَّ الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ وَالِافْتِقَارَ إِلَيْهِ لَا يُنَافِيَانِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ.

٢- أَنَّ الْإِقْرَارَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَعُمُومِ قَدَرِهِ لَا يُغْنِي عَنْ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْتِزَامِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ فَوُقُوعُ الْفِعْلِ بِمَشِيئَتِهِ الْكَوْنِيَّةِ لَا يَسْتَلْزِمُ مَحَبَّتَهُ لَهُ وَرِضَاهُ بِهِ، وَلَا يَصِحُّ اتِّخَاذُ الْقَدَرِ حُجَّةً عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ أَوِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ.

٣- أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ؛ فَيَمْتَثِلُ أَمْرَ اللَّهِ مُسْتَعِينًا بِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ وَتَابَ، وَإِذَا وُفِّقَ لِلطَّاعَةِ شَهِدَ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَنَسَبَ الْفَضْلَ إِلَيْهِ.

٤– أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي التَّقْوَى وَالصَّبْرِ، وَأَنَّ الْمَحْمُودَ هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؛ فَمُجَرَّدُ تَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ لَا يَكُونُ مَحْمُودًا شَرْعًا إِذَا كَانَ فِي طَلَبِ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا أَنَّ الْقِيَامَ بِبَعْضِ الطَّاعَاتِ لَا يُغْنِي عَنِ الصَّبْرِ عِنْدَ الِابْتِلَاءِ.

٥– أَنَّ مِيزَانَ الْكَمَالِ هُوَ اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَصَلَاحُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ؛ فَلَا تَقُومُ الْمَظَاهِرُ وَالِانْتِسَابَاتُ مَقَامَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ تَفَاضُلُ الْعِبَادِ بِقَدْرِ طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ وَصَبْرِهِمْ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ.

٦– أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ كَمَالِ الْأَخْلَاقِ؛ فَبِالصَّبْرِ يَثْبُتُ الْعَبْدُ عَلَى الْحَقِّ، وَبِالرَّحْمَةِ يُحْسِنُ إِلَى الْخَلْقِ، فَيَكُونُ قَوِيًّا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، لَيِّنًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ.

وَبِهَذَا تَظْهَرُ وَحْدَةُ مَوْضُوعِ الرِّسَالَةِ؛ إِذْ تَرْبِطُ بَيْنَ صِحَّةِ الِاعْتِقَادِ وَاسْتِقَامَةِ السُّلُوكِ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ الْعِلْمَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ إِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي عِبَادَةٍ صَادِقَةٍ، وَاسْتِعَانَةٍ بِهِ، وَصَبْرٍ عَلَى بَلَائِهِ، وَرَحْمَةٍ بِعِبَادِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الْفِهْرِسُ

الْمَوْضُوعُ	الصَّفْحَةُ
مُقَدِّمَةُ الْمُعْتَنِي بِالرِّسَالَةِ	٢
التَمْهِيدُ إِلَى الرِّسَالَةِ	٤
السُّؤَالُ عَنِ الصَّبْرِ وَالصَّفْحِ وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ	٨
حَقِيقَةُ الْهَجْرِ وَالصَّفْحِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ	٨
الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ لَا تُنَافِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ	٨
الشَّكْوَى إِلَى الْمَخْلُوقِ وَسُؤَالُ اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ	١٠
أَصْلَا سَيْرِ الْعَبْدِ وَهُمَا التَّقْوَى وَالصَّبْرُ	١٠
الْأَدِلَّةُ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى	١١
الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الدِّينِيَّةِ	١١
التَّمْيِيزُ بَيْنَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ	١٢
إِقْرَارُ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّبُوبِيَّةِ مَعَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ	١٣
الإِقْرَارُ بِالْقَدَرِ مَعَ إِسْقَاطِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ	١٤
نُقْصَانُ الْإِيمَانِ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ	١٤
الْإِقْرَارُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعَ نَفْيِ الْقَدَرِ	١٥
الِاعْتِرَاضُ عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ وَقَدَرِهِ	١٥
حَالُ الْمُؤْمِنِ فِي الطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوْبَةِ	١٥
سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاعْتِرَافُ بِالنِّعْمَةِ وَالذَّنْبِ	١٦

أَقْسَامُ النَّاسِ فِي الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ	١٧
التَّوَكُّلُ قَبْلَ الْمَقْدُورِ وَالصَّبْرُ بَعْدَهُ	١٨
أَقْسَامُ النَّاسِ فِي التَّقْوَى وَالصَّبْرِ	١٨
الْقِسْمُ الْأَوَّلُ أَهْلُ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ	١٨
الْقِسْمُ الثَّانِي أَهْلُ التَّقْوَى بِلَا صَبْرٍ	١٨
الْقِسْمُ الثَّالِثُ أَهْلُ الصَّبْرِ بِلَا تَقْوَى	١٨
الْقِسْمُ الرَّابِعُ مَنْ لَا يَتَّقُونَ وَلَا يَصْبِرُونَ	٢٠
الِاعْتِبَارُ بِحَقَائِقِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ	٢٠
مِيزَانُ الْكَمَالِ فِي الِاتِّبَاعِ وَالطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ	٢١
الصَّبْرُ وَالتَّقْوَى سَبَبُ النَّصْرِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ	٢٢
اقْتِرَانُ الصَّبْرِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالصَّلَاةِ	٢٣
أَقْسَامُ النَّاسِ فِي الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةِ	٢٤
الْجَمْعُ بَيْنَ الْقُوَّةِ وَالرِّفْقِ فِي الْوِلَايَةِ	٢٤
النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ وَالرَّحْمَةُ جَزَاءُ الرَّاحِمِينَ	٢٤
الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الرَّحْمَةِ	٢٥
الْخَاتِمَةُ	٢٦
الْفِهْرِسُ	٢٨